المحاضرة الرابعة

الأسلوبية الإحصائية

تمهيد :

من أبرز المناهج التي أبرزتها الأسلوبية البنيوية في تطبيقاتها النقدية المنهج الرياضي الإحصائي , الذي ساعد الأسلوبيين على قياس السمات الأسلوبية المنتظمة وغير المنتظمة (الانزياح) وبخاصة في بعض الخطابات الأدبية التي تتوافر على السمات الأسلوبية البارزة والظاهرة والتي لا تخفى على أي قارئ عادي ,إذ يحاول هذا المنهج استخلاص دواعي وأسباب توارد وتكرار بعض السمات الأسلوبية , ورصد مواضعها وتشكيلاتها اللغوية قصد وضع تصاميم وربما جداول ترصد هذه المظاهر رصدا علميا يلجأ إلى توظيف كل ما يتصل بعلوم الرياضة والجبر .

طبيعة هذا المنهج في النقد الأسلوبى:

سعى بعض النقاد الغربيين الى وضع طريقة إحصائية استخدموها في النقد الأسلوبي الحديث وعلى رأسهم الناقد الفرنسي (بيار جيرو) , والناقد الألماني (ماكس مولر) , إذ توصف هذه الطريقة وفق ثلاثة مراحل , وهي :

ـ مرحلة وضع الفروض حول طبيعة السمات الأسلوبية البارزة في الخطاب الأدبي المدروس .

ـ مرحلة اختبار هذه الفروض بالمعالجة الإحصائية لها لإثبات صحتها أو بطلانها.

ـ مرحلة وضع القوانين والنتائج المحصلة .

وهذا القياس الإحصائي يسعى الى :

ـ رصد وكشف السمات الأسلوبية وتحديدها تحديدا علميا داخل المدونة المدروسة.

ـ إجراء تحليل إحصائي رياضي مضبوط لا يحتمل التأويل أو الشك .

ـ التوصل إلى وصف السمات الأسلوبية الواردة والحكم عليها , أى مرحلة وصف الأسلوب وصفا موضوعيا.

أهم التطبيقات الأسلوبية الإحصائية :

من أهم التطبيقات الأسلوبية الشائعة في الميدان النقدي ما قام به بعض أعلام هذا المنهج عند الغربين وعلى رأسهم الناقد (فول فوكس) في تطبيقاته الرياضية على نصوص أدبية خاصة من أجل الوقوف على نسب تردد الوحدات الشكلية المدركة شكليا , كما عمل غيره من الغربيين على وضع بعض المصطلحات النقدية الخاصة بهذا التطبيق وعى رأسهم ما فعله (ميخائيل ريفاتير) في الأسلوبية البنيوية مع مصطلح (مقياس التشبع الأسلوبي) الذي يتناسب عكسا مع توارد وتكرار السمة الأسلوبية في الخطاب , وما أقره الناقد الغربي (زامب) عندما أطلق على أي ممارسة أسلوبية رياضية بمصطلح (القياس الأسلوبي) , وتبرز فوق كل هذه التطبيقات تجربة رائدة في ميدان الإحصاء الأسلوبي قام بها العالم واللغوي الألماني (ألفرد بوزيمان 1901 / 1986 م) سنة 1925 م واشتهرت فيما بعد ضمن الدراسات الأسلوبية بمصطلح (معادلة بوزيمان) وتتتلخص هذه التجربة في ما يأتي :

1ـ قام هذا العالم باقتباس مناهج رياضية وقياسية من علوم النفس قصد رصد انفعالات النفس البشرية ووظفها في مقاربة النصوص مقاربة نقدية قصد الكشف عن أدبية وجمالية النصوص وبالأحرى طبيعة الأسلوب فيها .

2ـ ركز في دراسته على المقارنة بين نسبة توارد الأفعال مع نسبة توارد الصفات في النصوص الأدبية (ن ف ص) ليرصد طبائع النصوص من حيث النشاط والحيوية وانعكاس ذلك في نفسية المبدع وانفعاله بالشكل (عدد ورود الأفعال/ عدد ورود الصفات تساوي نسبة توارد الأفعال على الصفات) .

3ـ ومن خلال النتائج المتوصل إليها قام بوضع وتأسيس بعض المقولات الثابتة في شتى اللغات والآداب العالمية ومنها:

ـارتفاع نسبة الأفعال في الكلام المنطوق على الكلام المكتوب

ـ ارتفاع نسبة الأفعال في الشعر على حساب النثر

ـ ارتفاع نسبة الأفعال في الحوار على السر في القصة أو المسرحية

مثال تطبيقي :

ـ في فقرة أدبية ما وردت فيها الأفعال بالعدد 19 كما وردت فيها الصفات بالعدد 10 نستنتج أن نسبة ورد عدد الأفعال على عدد الصفات يساوي 1,9 أي أن الفقرة بها قيمة إخبارية وانفعال زائد من قبل المبدع .

ـ في فقرة أخرى تساوت الأفعال مع الصفات عددا فالنسبة ستكون (1) , ومنه فهناك توازن عاطفي لدى المبدع والفقرة من قبيل النصوص المتوازنة مضمونا .

ـ وفي فقرة أخرى غلبت فيها نسبة ورود الصفات على ورود الأفعال , وهنا تكون النتيجة أقل من قيمة (1) أى (0,9) فأقل من ذلك , وهنا توصف النصوص بالركود واللجوء إلى اجترار أحداث ماضية أو مستمرة لاتنم إلا على انفعال غير إيجابي من قبل المبدع.

ـ في حالة وجود فقرات عديدة بالنص الأدبي تعالج كل فقرة على حدة وتقارن نسب الفقرات فيما بينها للوصول إلى حكم جامع بينها.

ملاحظة :

تأثر النقاد العرب المحدثين بهذا المنهج الرياضي وكانت لهم عدة ممارسة في هذا المجال وأشهر تلك الممارسات كتب وأبحاث الناقد (سعد مصلوح) وبالخصوص كتابه (الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية) , رغم الانتقادات التي وجهت لمثل هذه الممارسات الرياضية من قبل بعض النقاد ومنهم الباحث الجزائري : (نورالدين السد)الذي يرى أن هذا المنهج كفيل وناجع في تحديد السمات الأسلوبية العامة لمدرسة أو اتجاه أو كاتب بعينه ضمن انتاجاته ولا يصلح لدراسة أساليب النصوص المنفردة .

المصادر والمراجع:

البحث الأسلوبي معاصرة وتراث : رجاء عيد

ـــ الأسلوبية وتحليل الخطاب : نور الدين السد

ـــ دراسة لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : سعيد حسن بحيري

ـ الدراسة الإحصائية للأسلوب : سعد مصلوح